مراجعة واستعراض لكتاب القومية العربية، من الصعود الى السقوط، للكاتب عديد دويشا
كتب المراجعة هذه وترجمها من الإنجليزية كورقة قُدمت للدراسات الشرق الأوسطية في جامعة ستوكهولم
ناصر العوفي الاحوازي

A review of the book: Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair, By Adeed *Dawisha*
Reviewed by Nasser Owfi Ahwazi

القومية العربية

ظهرت أطروحة القومية العربية نتيجة لواقع جديد فرض نفسه على الوطن العربي بعد التغييرات الجذرية التي طرأت على أوروبا والدولة العثمانية ثم انعكست على العرب بصورة خاصة. كان الهدف من الاطروحة القومية هو الحصول على دولة عربية موحدة بعد تحقق الوحدة السياسية العربية الشاملة التي تضم كل الأقطار العربية بدون استثناء.

من كبار منظري هذه الفكرة هو ساطع الحصري الذي دعمها بقوة، ثم نظّر لها ميشيل عفلق وعلّل هزيمة العرب في حربهم مع إسرائيل الى التجزئة والانقسام السياسي. والاشكالية الجدلية في التطرق الى تحليل القومية العربية هي كيف يمكن تفسير العلاقة بين القومية العربية والوحدة السياسية العربية؟ وهل مفهوم القومية هو ثقافي ام سياسي؟

في تعريف الامة يُشرح بإن افرادها لديهم شعور بالتماسك في الوقت الذي لا يعرف هؤلاء الأشخاص بعضهم البعض وهي وحدة في المشتركات حتى وان لم تتشكل وحدة سياسية على الأرض. فوجود الرغبة لتشكيل كيان بين الوحدات يؤدي الى إطلاق امة عليها، بينما المجتمعات المتعددة الأعراق لا ترقب بأن تكون دولا فأمريكا مع وجود الأعراق الثقافية لا توجد رغبة لدى المجموعات العرقية فيها في الانفصال والحصول على سيادة سياسية مستقلة، لأنها متعددة الأعراق وليست متعددة الجنسيات.
اختلف التعريف للقومية العربية في فترات مختلفة وكاد ان يكون هنالك تداخل في التعاريف بدأ بالطموح والإرادة الى تشكيل كيان سياسي واحد في أوائل القرن العشرين الى الدافع والرغبة في التعاون السياسي والثقافي في السبعينيات.
ظهرت القومية العربية أولا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من خلال الإمبراطورية العثمانية، في الانتماء الى الدين والعروبة والوطن والمدينة والمنطقة، لكن لم يشعر السكان العرب بأي تناقض او إحساس بالولاءات المتصارعة، هكذا يقول رشيد خالدي. وبالنسبة لوجودهم كعرب فهذا لا نقاش فيه، لكن بالنسبة لتشكيل كيان سياسي يجمعهم تحت راية واحدة، هذا ما يجب البحث عنه، فالجميع كان يدرك انه عربي ومسلم لكن فكرة تشكيل الدولة الواحدة ظهرت لاحقا.

ان مفهوم القومية العربية يكون فارغا من محتواه إذا لا يسعى الى جمع ابناءه تحت سقف واحد في دولة عربية واحدة. فإلى جانب التوحيد الثقافي العربي هناك الرغبة القوية في الوحدة السياسية في المنطقة العربية لا يُستثنى منها قطر ولا إقليم. في السيطرة العثمانية على الشعوب العربية في القرن السادس عشر الغي الدور العربي للسيطرة الذاتية على أنفسهم، وكان هناك نهضة أدبية عربية للكنائس الشرقية التي تعتبر البذرة الأولى للقومية العربية التي ظهرت بواسطة الشخصيات العربية الأدبية والثقافية في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين.

مراجعة واستعراض لكتاب القومية العربية ، من الصعود الى السقوط ، للكاتب عديد دويشا
كتب المراجعة هذه وترجمها من الإنجليزية كورقة قُدمت للدراسات الشرق الأوسطية في جامعة ستوكهولم
ناصر العوفي الاحوازي

A review of the book: Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair, By Adeed *Dawisha*
Reviewed by Nasser Owfi Ahwazi

يرجع الموضوع في تاريخ نشأة القومية العربية بأوروبا ، فارتبط نشوء القومية العربية بها . فركز الحصري على فكرة التعليم والتي هي الوسيلة الأساسية التي يتم بها غرس الإحساس بالقومية لأنه في سرد التاريخ عن امجاد الماضي عليه ان يشاهد صورا حقيقية وحيّة له في الحاضر وهذا لا يتحقق الاّ إذا شاهدها في العلوم والأفكار التي تبهر الأجيال اللاحقة وتجعلها تفخر وتتباهى بانها صاحبة هذه الثروة العلمية والفكرية والأدبية والثقافية .
الجيل الصاعد يريد ان يشاهد الابداعات الوطنية والقومية الخاصة به كي يحاط بالشعور القومي والاحساس بالتفوق والافضلية والعكس يصدق، حيث إذا شاهد الإخفاقات أصيب باليأس والخيبة وتراجع عن الاستمرار والتمسك بالوطنية وضعفت لديه مقومات الاعتزاز بالقومية والثقة بالنفس .

وفي وضعية غياب المؤسسات ومن ضمنها الدولة، المؤسسات التي تقوم بإدارة وتقديم الخدمات التعليمية وتقاعس النخب عن القيام بواجباتها التاريخية تكون النتيجة كارثية ومخزية حيث تفرش بظلالها على النفوس وتسيّر الجماعة في فوضى تجعلها تتخبط في الأفكار والنظريات ثم تكون مستعدة لقبول اية سيطرة اجنبية حيث انها مفككة ومتفسخة ومتآكلة من الداخل ومتجاهلة طاقاتها وامكانياتها، راضخة للغرباء الذين بالتأكيد يستغلون هذا الهوان ليسوقوها في جادتهم العوجاء ولا تكون الا بصنع تبعية تفرضها عليها حيث تجلب لهم العبودية والاستغلال والوقوع تحت الهيمنة الخارجية وخسارة السيادة الذاتية .
ظهرت أصوات دعاة القومية العربية اولا المطالبة بالحكم الذاتي لكل قطر وإقليم مع احتفاظها بالعلاقة السياسية بالآستانة . بينما المسيحيون كانوا ميالون الى لاستقلال التام من الدولة العثمانية لشعورهم انهم يتمتعون بمكانة أدنى في ظل الحكم العثماني ، وكأقلية دينية ، في دولة إسلامية كبيرة ، فالاستقلال يمنحهم المساواة مع المسلمين إذا ما انفصلت الأرض العربية عن الدولة العثمانية .[1]
والثورة العربية ابّان الحرب العالمية الأولى في الواقع لم تكن تدعو الى تشكيل امة عربية ووحدة سياسية عربية وقومية ، بل كانت دعوة الى الانفصال داخل البيت الإسلامي بقيادة الشريف لخلافة مكية . وتم هذا لفيصل في سوريا باعتباره من عائلة مكية وروّج للتعليم والدراسة ساطع الحصري الذي عرّب النظام المدرسي السوري ، الاّ ان مدة حكم فيصل كانت قصيرة .

[1] جورج انطونيوس ، النهضة العربية

مراجعة واستعراض لكتاب القومية العربية ، من الصعود الى السقوط ، للكاتب عديد دويشا
كتب المراجعة هذه وترجمها من الإنجليزية كورقة قُدمت للدراسات الشرق الأوسطية في جامعة ستوكهولم
ناصر العوفي الاحوازي

A review of the book: Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair, By Adeed *Dawisha*
Reviewed by Nasser Owfi Ahwazi

شجع الافغاني ومحمد عبده ورشيد رضا والكواكبي حركة التجديد والإصلاح بهدف الوصول الى الوحدة الإسلامية.
قام المفكرون المسيحيون العرب في أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين مثل نجيب عازوري بتعزيز النزعة القومية العربية العلمانية على غرار الدول القومية الأوروبية.
للنظر في آراء ساطع الحصري الذي كان مسلماً سورياً بيروقراطياً يعمل لدى للحكومة العثمانية حيث تم إرساله إلى البلقان ورأى الفعالية للحركات القومية هناك باتجاه الاستقلال، وعلى أثرها طور نظرية القومية العربية، التي وضعت الأولوية على أهمية تشكيل الوعي الوطني من خلال إنشاء نظام تعليمي وطني، وبالتالي تجاوز الهويات فرعية، الطائفية منها والمناطقية والقبائلية.

وفي إشارة الى مفهومين علمانيين للامة التي تطورت في أوروبا وهما المفهوم الإنجليزي الفرنسي القائم على فكرة المعاملة بالمثل بين الدول، والآخر هو **المفهوم الثقافي الألماني** القائم على التجانس العرقي واللغوي والتاريخي، فضل الحصري الفكرة الألمانية للوحدة اللغوية والتاريخية، تماشياً مع السمة العلمانية للنظريات الأوروبية للقومية، طور الحصري المفهوم العلماني لـ "الأمة العربية"، والذي فصل به مصطلح "الأمة" عن الإسلام وركز بدلاً من ذلك على المجتمع العربي.

يرى الحصري ان المفهوم الثقافي الألماني هو من يصدق على تعريف الامة وليس التعريف الفرنسي، فالأمة لا تتشكل بالرغبة في العيش معا، بل تحتاج الى وحدة في اللغة والتاريخ، بغض النظر عما إذا كانت الامة قد نجحت في انشاء حدودها الجغرافية ام لا. وفي اشارة الى عامل اللغة واهميته في تشكيل وتوحيد الامة يذكر الحصري الالمان والايطال حيث استطاعا ان يتغلبا على الانقسام المزمن وان يتحولا الى دول موحدة.
ويشير الحصري أيضاً إلى مثال بلغاريا قبل الحرب العالمية الأولى، والتي، كما يقول، عانت من نوعين من القمع. كان هناك تدخل الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، التي سعت إلى نشر اللغة اليونانية على حساب البلغارية، وكان هناك الاستعمار الإمبراطوري العثماني لبلغاريا، التي كانت ذات طبيعة سياسية، وبالتالي لا تعارض بشكل خاص اللغة البلغارية.
في أوائل القرن السادس عشر، بدأت بابوية روما في إنشاء كليات لتدريب كهنة الكنائس الشرقية، أدرج عدد منها دراسة اللغة العربية في الاستطلاعات والتعليقات النظرية والتاريخية. تم تسريع هذه العملية في القرن التاسع عشر في بلاد الشام في ظل حكم إبراهيم باشا المستنير الذي شجع المبشرين والتربويين الغربيين على فتح المدارس والمؤسسات التعليمية الأخرى. لمعالجة النقص في النصوص العربية، استوردت هذه المؤسسات مطابعها الخاصة. أدى كل هذا إلى إحياء الأدب العربي، الذي كان ليصبح أساساً للأطوار القومية المبكرة في الأقاليم الناطقة بالعربية من الإمبراطورية العثمانية.

من غير المفاجئ إذن أن ترجع البذور الفكرية للقومية العربية في القرن العشرين إلى أفكار وانجازات عدد من مفكّري وناشطي القرن التاسع عشر. فالمسلمون والمسيحيون، كان تركيزهم الأساسي هو الوضع المعاصر والتطلعات المستقبلية للمواطنين الناطقين بالعربية ففتحت أعينهم من خلال التوسع في التعليم إلى الحركات القومية المتنامية في أراضي الإمبراطورية العثمانية في البلقان، وكان هؤلاء الكتاب العرب والمؤثرون السياسيون الأوائل يميلون إلى التركيز على الاختلافات العرقية واللغوية التي تفصل العرب عن حكامهم الأتراك في الإمبراطورية العثمانية.

بعد قيام الدول العربية ككيانات سياسية بخصوصيات مختلفة تابعة لمنافعها الوطنية، أصبح التزامها بالعروبة التزاما روتينيا وتسويقيا. وهذا كان النتيجة الطبيعية لهذا الفكر حيث جاء لتغطية فراغ مرحلي وتجاوبا مع الحاجة الملحّة لإشباع الرغبة الطاغية بتشكيل كيان عربي سياسي موحد، ثم تفويت الفرصة في التكوين له على الوطن العربي من خلال تجزئته والهاءه بالشعارات والنزاعات الداخلية ثم تركه يواجه الواقع الذي لابد منه وهو الدولة القومية القطرية التي تلعب دورها في النظام السياسي الحديث بهوية ذاتية تحصل على شرعيتها من خلال قبول عضويتها في المؤسسات الدولية تقدمها لها الدول العظمى التي خرجت منتصرة من الحرب العالمية الأولى.

لذلك في البحث عن إخفاقات بلورة نظام سياسي عربي في جيوسياسية واحدة يشكل اغلبها العرب المسلمون، عليه التطرق الى الأسباب التي قد لا تكون ناشئة من جهة واحدة، بل انها حزمة من العوامل وقائمة من العلل الداخلية والخارجية، والتاريخية والثقافية، والمجتمعية والنفسية، أدت الى إبقاء فكرة القومية العربية مجرد حلم يعيش في الانفس لدى العرب الذين يطمحون الى تحقيقه إذا جاءت الظروف وتهيأت القدرات وتظافرت الارادات.

وللتقريب من الموضوع يجوز تشبيه السعي العكسي لاتجاهين للقومية العربية بين الذاهبة الى بناء دولة عربية واحدة ودولة قطرية تأخذ شرعيتها من الدول الكبرى، يمكن الاتيان بمثال وهو تشبيه هذين الاتجاهين بالنزاع الهوياتي للعشيرة على حساب الانتماء للدولة والوطن، فالانتماء للدولة يحصل على شرعيته من المؤسسات الحكومية ويُعرّف من خلالها ويشعر في قرارة نفسه بالانتماء الجماعي لها، بينما الانتماء القبائلي انتماء ثانوي نفعي ربما يتغير حسب الظروف مثل الهجرة والعمل والقفز الطبقي.

مع نزعة جمال الدين الافغاني الفارسية واحياء الثقافة القومية وميول محمد عبدة الى المصرية ورشيد رضا الى القومية صنّفت القومية العربية بانها دعوة للانقسام والتجزئة خاصة لدى اتباع الفكر الاصولي الإسلامي الذين يرون انهم خسروا السور الذي كان يوقيهم من الحملات الخارجية ويمدهم بهوية أوسع تجعلهم قادرين على مواجهة عمليات السطو التي تستهدف هويتهم العربية ودينهم الاسلام.

وفي هذه الصورة النمطية من التبديل المفصلي ، صُنع العدو الافتراضي والمنافس الشرقي الذي يحفز الشعوب على الرضوخ والطاعة للحكام الذين تنصبهم الدول الكبرى في أسلوب ناعم هذه المرة ليستمروا بإدارة ما وكّل إليهم وليظهروا بصور الابطال القوميين وما هم في الواقع الا ابطال وهميين أعطوا أدوارا فرعية يلعبونها في بقع جغرافية معينة بعد ان فُوّتت على الشعوب العربية إمكانية الحصول على كيان عربي قوي يجعلهم يواجهون الخطط التدميرية التي تستهدف وجودهم .

كثيرا ما نظّر للقومية العربية هو عبد الرحمن الكواكبي حيث يقول ان شعب الجزيرة العربية أجدى بإمساك أمور الخلافة الإسلامية والسيادة الدينية للعالم الإسلامي ويفضله على الاتراك ويضيف بانه كان أكثر غيرة على دينه ولكنه محافظا على الوحدة العربية التركية لتكون السلطة الدينية الرمزية للعرب ولقريش في الحجاز وليس في الآستانة. يقول هذا باعتباره هو من عوائل الاشراف في سوريا .

ثم جاء نجيب عازوري النصراني السوري الذي دعا الى تشكيل دولة عربية مستقلة وقال ان العرب بإمكانهم ان يكونوا دولة قوية لو لا تدخل الاتراك واضعافهم إياهم فانهم ، اي العرب ، ليسوا مسلمين فقط بل هناك عرب نصارى يتحدثون العربية . دعوة عازوري تشيّد بتأسيس دولة حدودها من دجلة والفرات الى قناة السويس ، أي الحدود الجغرافية الطبيعية لسوريا ، واستثنى مصرا ، باعتبارها افريقية لم تتحدث العربية قبل الإسلام .

يرجع البير حوراني في إشارة لابن خلدون وتفسيره بخصوص الامة والحضارة حيث كانت أوروبا غارقة بالجهل والامية والفقر والمرض ، لكن بحلول القرن السادس عشر تأخر العرب عن السلطة والثقافة وتحللت إمبراطوريتهم وحضارتهم واستعدوا لتدبير فكر جديد يضمن بقاءهم فحُكموا بواسطة العثمانيين تحت اسم الدين . مع هذا بقيت اللغة العربية باعتبارها لغة الإسلام والقران ، بقيت حية ومتقدة ، بينما اللغة التركية لغة الحكومة والإدارة . كانت اللغة العربية مغذية الشعور بالقرب الثقافي في الأراضي العربية على مر القرون من الحكم العثماني . ترجع جذور القومية العربية في القرن العشرين الى إنجازات أدبية وثقافية وأفكار واطاريح عدد من المفكرين العرب .

القومية العربية وليدة فترة زمانية اثرت في ظهورها عدة أسباب داخلية وخارجية ، وبين مؤيديها ونقادها هناك ما يستحق التداول والبحث للتجارب العملية التي خاضتها في الوطن العربي . الاختلاف بين القومية العربية وبين نظيراتها الأوروبية هو انها ليست أيديولوجية لدولة قومية واحدة بل لمنطقة جغرافية شاسعة برمتها .

مراجعة واستعراض لكتاب القومية العربية ، من الصعود الى السقوط ، للكاتب عديد دويشا
كتب المراجعة هذه وترجمها من الإنجليزية كورقة قُدمت للدراسات الشرق الأوسطية في جامعة ستوكهولم
ناصر العوفي الاحوازي

A review of the book: Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair, By Adeed *Dawisha*
Reviewed by Nasser Owfi Ahwazi

وفي تحليل الأفكار القومية وجذورها في الفكر الغربي مع سرد للأحداث التي مرت بها وصعودها وهبوطها الدرامي .   في النقاش حول أصول القومية العربية ، فإنها ترسخت خلال القرن التاسع عشر ، بين السكان الناطقين باللغة العربية وفي الإمبراطورية العثمانية . وخلال الحرب العالمية الأولى تطورت هذه الفكرة لتصبح حركة ثورية كاملة ، الثورة العربية كانت باسم الإسلام وليس باسم العروبة .

في الحرب العالمية الأولى فقط برز مفهوم الامة العربية وإنها كانت البديل لفكرة الخلافة الإسلامية العربية التي كان يطمح الى تأسيسها الشريف حسين ، فاستعار المفكرون العرب الطرح من أوروبا واستخدموها للسعي لرسم مسار جديد للامة العربية .

واجهت هذه النظرية الهويات المتضاربة والولاءات المتنافسة كالقبيلة والطائفة والمنطقة والدين وأيضا التوترات بين الهويات الشعوبية العربية وهي العراقية والسورية والمصرية من جانب ، والهوية العربية الشاملة من جانب آخر ، فالخصوصية الأبرز لمفهوم الامة العربية المتماسكة هي التنوع في اللهجات والخصوصيات الشعبية في ارض العرب الممتدة من الجزيرة العربية الى شمال افريقيا .

في ظل النظام العالمي الفعلي الذي ظهر في القرن التاسع عشر ثم اخذ يتطبق في الحرب العالمية الأولى ، وبصورة شاملة ، يجب القول بان فكرة القومية العربية تبدو طوباوية من حيث التطبيق وجميلة ورومنطيقية من حيث الظاهر ، في النظرة الأولى لها ، لكنها غير قابلة للتطبيق ، كما مرت عليها التجارب التي فشلت فيها او افشلت بواسطة قوى أخرى ، حيث اثبت ذلك ، وتوضح ان الفكر القومي في حد ذاته لا يكفي لان يؤسس كيانا سياسيا عربيا موحدا يجمع كل الجغرافيا العربية في سلطة سياسية واحدة او ليُقال انه لا يؤذن بهذا التأسيس .

لذلك التمسك بالقومية العربية قد يمنع الانسان العروبي ان يتآمر على شعبه وامته وان يشارك الأجانب في زحفهم على قلاعها وتدمير حضارته تحت مسميات طائفية وذرائع براقة كالليبرالية والحرية وليحافظ على الحد الأقل من المكتسبات الثقافية والهوياتية وان لا يتذبذب في آراءه ومواقفه حتى يجد نفسه مهشما متشرذما جراء تصرفات اعداءه الذين أتوا اليه بحجة تحريره وتخليصه من القيود والعبودية والتخلف والامية ، لكن لا يحقق له آماله والتي تكمن في الشعارات التي رفعتها راية القومية العربية من اول ايامها .

وهنا يأخذ الفكر القومي مكانه الراسخ في العقل العربي المعاصر حيث يكون الدرع الرادع للحملات الثقافية للخطط التركية والفارسية إقليميا ، والمكائد التفتيتية الغربية للنيل منه وحصره في زاوية ليبقى ضعيفا مقيدا عاجزا عن التحرك والتقدم والبناء وفي وضعية موت بطيء حيث يكون قد تجرد من ذاته وسجله ومجده وتاريخه .

ثم في الفصول التالية من الكتاب يناقش الكاتب اشكال صعود القومية العربية التي تبلور في الإعلان عن الجمهورية العربية المتحدة والثورة العراقية في الخمسينات . يعطي الكاتب أهمية فائقة للعراق لأنه كان يتمتع باستقلالية أكثر من غيره وكان القاعدة التطبيقية في أفكار الحصري . بينما ركز القوميون على القضاء على الإسلام والهويات الفرعية والامية المتفشية كانت هناك إشكالية مفاهيمية في مصر حيث اعتبر المصريون أنفسهم عرقا مصريا بدلا من العربي ، ثم تطور عبد الناصر في هذا المفهوم وتحول من قومي مصري الى قومي عروبي واستخدم الإذاعة والصحافة لنشر أفكاره وبنى جيشا قويا وقام ببعض الإنجازات مثل تأميم قناة السويس فاتخذت القومية العربية شكلا ثوريا في زمانه .

في تجربة تأسيس الجمهورية العربية المتحدة في عام 1958 الذي أقيم بين سوريا ومصر خاضت القومية العربية تجربة عملية حساسة . غياب الحدود الجغرافية المشتركة بين البلدين وعدم استقرار النظام السياسي السوري حال دون الاستمرار بها وهكذا جلبت ردة فعل عربية من أنظمة عربية إقليمية وهي ممالك العراق والأردن والسعودية فتخوفت منها وسعت إلى تقوية روابطها مع الغرب ، وجراءها اندلعت الحرب الأهلية في لبنان . وبعد ان وصل الى الحكم حزب البعث في سوريا أدى هذا الأمر الى الانفصال عن مصر والخروج من الوحدة العربية .

في العراق انتهى عهد نوري سعيد وتحول الى العهد القاسمي حيث تبنت الحكومة العراقية الجديدة شكلاً من أشكال النزعة القومية القائمة على سيادة الدولة ، وليس على الوحدة العربية. ثم سيطر البعثيون على الحكم في العراق لينشأ تنافسا بين البعثيين في سوريا والعراق وبين عبد الناصر في مصر وثم التوصل الى القبول بالحدود القطرية لكل دولة عربية والاعتراف بها ، بعد التدخل غير الناجح لعبد الناصر في اليمن .

في العراق ، كان الشيعة في الجنوب يميلون في النظر إلى القومية العربية كمشروع سني يهدف إلى تقليصهم إلى أقلية ضئيلة تقابلهم العرب السنّة. كان أكثر من نصف السكان من الشيعة ، ومع ذلك كانت المجموعة المهيمنة سياسياً هم السنّة ، الذين شكّلوا ثلث السكان بالكاد . وهكذا قدم العراق لمحة عن المشاكل التي كانت تعوق الحركة القومية العربية طوال تاريخها .

مراجعة واستعراض لكتاب القومية العربية ، من الصعود الى السقوط ، للكاتب عديد دويشا
كتب المراجعة هذه وترجمها من الإنجليزية كورقة قُدمت للدراسات الشرق الأوسطية في جامعة ستوكهولم
ناصر العوفي الاحوازي

A review of the book: Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair, By Adeed *Dawisha*
Reviewed by Nasser Owfi Ahwazi

في مواجهة مثل هذه الانقسامات العميقة والواسعة، كانت مهمة مستحيلة تماماً تحقيق هدفين أساسيين للحركة الوطنية العربية: الوحدة والاستقلال. تم إضافة هدف ثالث في أعقاب الحرب العالمية الثانية: إبقاء فلسطين في أيدي العرب. كانت الحرب العربية الإسرائيلية الأولى في عام 1948 المرحلة الحاسمة في النضال من أجل فلسطين. كان من المأمول أن تتم صياغة الوحدة العربية على سندان الحرب ضد العدو المشترك.

لقد كان هذا هو الاختبار العظيم للدول العربية المستقلة حديثًا، وفشلت ا فشلاً ذريعاً. إن عدم قدرة هذه الدول على تنسيق تحركاتها الدبلوماسية والعسكرية كان في حد ذاته عاملاً رئيسياً في خسارة فلسطين. إن الآمال التي كانت تتبخر في "معركة المصير" هذه ضد الصهاينة قد أفسحت الطريق أمام خيبة الأمل واليأس لدى العرب بسبب الحطام المأساوي لفلسطين. كانت تلك هي المرة الأولى التي تتخلى فيها الدول العربية عن إخوانهم الفلسطينيين، لكنها لم تكن الأخيرة بأي حال من الأحوال.

إذا كان عام 1948 هو السقوط القومي العربي، ففي عام 1958 وصلت الحركة القومية العربية إلى أعلى قمة لها. في فبراير من ذلك العام، تم تأسيس الجمهورية العربية المتحدة من خلال اندماج سوريا ومصر. في 14 يوليو، دمر انقلاب عسكري دموي النظام الملكي في العراق وحول البلاد إلى جمهورية راديكالية.

كان من المتوقع أن ينضم العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة. كانت الأنظمة الموالية للغرب في الأردن ولبنان تتأرجح على حافة الانهيار. لفترة وجيزة، اعتقدت الجماهير المبتهجة أن أولئك الذين اعتبروا أنهم أعداء القومية العربية كانوا على وشك الوقوع كصف من الدومينو. كانت لحظة ثورية في الشرق الأوسط، لكن الثورة لم تنتشر. مع الإدراك المتأخر، كان عام 1958 نقطة التحول الكبرى في تاريخ الشرق الأوسط الذي فشل فيه التاريخ في التحول. منذ عام 1958، كان هناك هبوطا متتاليا على طول الطريق للقومية.

في نهاية المطاف، أوقفت القوة القومية العربية المولدة للقوة في يونيو 1967. هُزمت جيوش دول المواجهة بشكل قاسي في حرب الأيام الستة، واحتلت أراضيها، واقتصاداتها كانت مدمرة، وانفجر الوضع بالقومية العربية بالكامل وانهار البناء. بعد أربعة عقود، لم يتعاف العرب بعد من الهزيمة الساحقة التي عانوا منها في "معركة المصير، في حرب حزيران.

القومية العربية، في أوجها، جددت الثقة بالنفس لدى الانسان العربي والشعور بالكرامة بعد سنوات طويلة من الخضوع للحكم الاستعماري. من ناحية أخرى، بحلول نهاية القرن العشرين لم يتبقَ منها سوى القليل من الأهداف اللامتحققة من الوحدة العربية وبقايا الوعود المنهارة والآمال الممزقة.

مراجعة واستعراض لكتاب القومية العربية ، من الصعود الى السقوط ، للكاتب عديد دويشا
كتب المراجعة هذه وترجمها من الإنجليزية كورقة قُدمت للدراسات الشرق الأوسطية في جامعة ستوكهولم
ناصر العوفي الاحوازي

A review of the book: Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair, By Adeed *Dawisha*
Reviewed by Nasser Owfi Ahwazi

بالنسبة للقوميين في العشرينيات والثلاثينيات ، كانوا يقولون انه يجب القضاء على كل من الإسلام والهويات الفرعية المتنافسة كعامل فاصل بين الشعوب العربية. وإلى جانب الطائفية ، والإقليمية ، والقبلية ، فإن معدلات الأمية المرتفعة ؛ كانوا القوميون الأوائل يسعون لنشر أفكارهم القومية العلمانية بين السكان العرب. علاوة على ذلك ، كانت مصر منطقة إشكالية في النماذج القومية العربية لأن المصريين اعتبروا أنفسهم بالفعل عرقاً "مصرياً فرعونيا بديلاً للعربي ، وكانوا يرون الانتماء العروبي مرتبطاً بأسلوب حياة بدوي على النقيض من المصري المستقر.

مع تراجع نزعة القومية العربية وتجدد الأصولية الإسلامية أصبحت الشعوب العربية تتصور ان فكرة القومية العربية كانت واحدة من الحلول المستوردة الفاشلة ، وتهدف الى تجزئة المسلمين وجعل بعضهم يجابه البعض الآخر ، وهذه النظرة المشككة ظهرت حتى لدى الذين يومنون بالقومية العربية لمدة طويلة من الزمان فهؤلاء أيضا نسبوا نشأتها الى الغرب.

ونظرا للضعف الواضح في الخلفيات القبائلية وغياب تنظيمات سياسية جديرة بالقيام بالأدوار التي تمهّد لتشكيل دولة مثلا ، او كيان سياسي ذاتي ، او بيروقراطية إقليمية ، لا يحبّذ زجّ هذه الكتل القبائلية في لعبة كبيرة حتى لا تتآكل في نزاعات بينية تقضي على ما بُني من أسس ثقافية ومفاهيم معرفية والتي هي ذاتها لم ترق الى السقف الذي يمكنها من اعتبارها قوية وناضجة وواضحة الصورة للآخر.

بعد الهزائم والانتكاسات التي واجهتها اطروحة القومية العربية في الشرق الاوسط لازال هناك قوى سياسية وثقافية تأمل في الفعالية من خلالها وخوض التجربة هذه مرة اخرى لكن بروح جديدة ، آخذة بعين الاعتبار الاخطاء التي ارتكبتها في العقود الماضية.

وتبقى الإشكاليات التي تكفلت بالفشل في الطرح القومي العربي ذاتها قائمة ، والتجارب التي شهدتها على الأرض تؤكد ان لا فرصة أخرى لخوضها في ظل النظام العالمي المهيمن على المؤسسات الدولية ، حيث لا تحولات جذرية في توازن القوى التي تتحكم به الدول العظمى ، بل هناك تكالب إقليمي تركي فارسي على الامة العربية بصورة عامة وعلى الشرق الأوسط بصورة خاصة ، واستغلال واستفزاز عالمي للدول الكبرى يهدد الكيانات العربية القطرية والايحاء بتركيب تصاميم حديثة لها أُطلق عليها الشرق الأوسط الجديد.

مراجعة واستعراض لكتاب القومية العربية ، من الصعود الى السقوط ، للكاتب عديد دويشا
كتب المراجعة هذه وترجمها من الإنجليزية كورقة قُدمت للدراسات الشرق الأوسطية في جامعة ستوكهولم
ناصر العوفي الاحوازي

A review of the book: Arab Nationalism in the Twentieth Century: From Triumph to Despair, By Adeed *Dawisha*
Reviewed by Nasser Owfi Ahwazi

لا أحد يستطيع انكار القوة الهائلة الكامنة في الامة العربية من موقع جيوسياسي حساس وثروات النفط والغاز والمياه، وفاكتورات القوة القومية في التاريخ والدين واللغة والتطلع والطموح لديها باستخدامها وبإقامة دولة عربية واحدة تشمل كل الأرض العربية دون استثناء، لكن الاختلاف في الآراء يقع في السبل التي تؤدي الى إمكانية تحقيق هذه الفكرة والظروف السياسية المؤآتية والمناسبة لها والبيئة المهيئة لها والسايكوجية والمعلوماتية .

كل هذه الأشياء تشارك في إقامة كيان سياسي عربي واحد على الأسس الواقعية والمحققة لوجود الامة العربية اليوم وفي الغد كما كانت في الامس، لم تتأثر بالتغييرات السياسية الكبيرة والاحتلالات التي حصلت لها، بل هناك إخفاقات وانجازات لها في السيطرة والانقباض، والتوسع والتراجع في الحكم والهيمنة .

يجب التنويه ان هذه المراجعة ركّزت على الفصول الأولى من الكتاب حيث انها محددة كميّا ولمن يطلب الاطلاع على آراء الكاتب بصورة أوسع عليه ان يقرأه. ففي الفصول التالية آراء يشير الكاتب فيها الى دور القضية الفلسطينية في صعود القومية العربية وعلى تأثير نكسة حزيران على سقوطها. ثم كانت هناك مراجعة لمؤلفات ساطع الحصري وجورج انطونيوس وميشيل عفلق وعبد الرحمن الكواكبي لا تسع هذه الورقة تحمل درجها هنا .

ناصر العوفي
2018, Stockholm